وَفَـــاء

إلى روح فقيد الفكر والأدب د. عزيز الحبابي

فِي ذِمَّـــةِ اللّـــهِ أوْفىٰ ذِمَّـــةِ عَلَمٌ ... هَـوَىٰ وَكَـوْكَبُ فِكْـرٍ بَيْنَنَـا افتُقِـدَا

قَالُوا طَوَى المَـوْتُ مَنْ لَمْ يِطْوِهِ حَـ ... ـدَثٌ وَالمَوْتُ لَيْسَ بِنَاسٍ بَيْنَنَا أحَدَا!

فَأرْسَلَ الـدّمْعَ مَنْ لَمْ تَجْـرِ أدْمُعُـهُ ... وَأمْسَكَ القَلْبَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ جَلَدَا !

قَـدْ كَانَ فِكْـراً رَحِيبَ الأفْقِ مُبْتَدِعـاً ... وَكَانَ صَوْتاً لَهُ فِي الخَافِقِينَ صَدَى

وَرَوْضَ عِلْمٍ زَكَـا نُـوراً وَفَاحَ شَـذَا ... وَبُلْبُـلاً كَـانَ فِـي أدْوَاحِنَـا غَـرِدَا

مَـا كَـانَ رُزْءً وَلَكِنْ كَـانَ فَـاجِعَـةً ... فِي عَبْقَـرِي أحَبَّ الفِكْـرَ مُذْ وُلِـدَا !

لَمَـا رَأىٰ العَقْلَ نُـوراً يُسْتَضَـاءُ بِـهِ ... صَلَّىٰ إلَيْـهِ وَفِي مِحْـرَابِـهِ سَجَـدَا !

رَأىٰ مَظَـاهِـرَ هَذَا الكَـوْنِ غَـامِضَـةً ... فَغَـاصَ فِي عُمْقِهَـا بِـالعَقْلِ مُنْتَقِـدَا

دَعَـا إلَـى الحُبِ وَالتّغْيِيـرِ عَـالَمَـهُ ... وَقَـدْ رَأىٰ كُلَّ شَـيْءٍ حَـوْلَهُ فَسَـدَا !

وَصَـارَ غَـابَ ضَـوَارٍ لَا أمَـانَ بِهَـا ... إلّا لِمَنْ كَـانَ فِي آجَـامِهَـا أسَـدَا !

* *

كَـالنَّبْـعِ كَـانَ عَطَـاءً لَايُكَـدِّرُهُ ... رَنقٌ وَلَا يَتَسَلّـىٰ عَنْـهُ مَنْ وَرَدَا

ذَكَـرْتُـهُ وَظَـلاَمُ السِجْـنِ يَجْمَعُنَـا ... وَالدّمْعُ فِي أعْيُنِ الأحْـرَارِ قَدْ جَمَدَا !

فَكَـانَ قَلْبـاً بِحُبِّ الأرْضِ مُمْتَلِيئـاً ... وَكَـوْكَبـاً فِي دَيَـاجِيهَـا قَـد اتّقَـدَا

كَمْ حَاوَرَ الغَرْب بِالْعَقْلِ الذِي زَعَمُوا ... بِأنَّـهُ فِي دِيَـارِ الشّـرْقِ قَـدْ وُئِدَا !

فَكَـانَ يُصْغِي لِمَـا يُمْلِي وَيَعْقِلُ مَـا ... يُنبِي بِـهِ مِنْ هُمُـومٍ قَدْ تَجِيءُ غَـدَا

مَضَىٰ فَأوْحَشَ رَوْضُ الفِكْرِ وَاكْتَأبَت ... مَنَـابِـرٌ طَـالَمَـا فِي أوْجِهَـا اقْتَعَـدَا

وَمَـا أُرَانَـا افْتَقَـدْنَـا يَـوْمَ غَيْبَتِـهِ ... عَنِ الأحِبَّـةِ إلّا الظـلَّ وَالجَسَـدَا !